هايدي

تأليف
يوهانا شبيري

ترجمة
ندى أحمد قاسم

مراجعة
هبة عبد العزيز غانم



هايدي

يوهانا شبيري

Heidi

Johanna Spyri

الطبعة الأولى ٢٠١٣م
رقم إيداع ٢٠١٣/١٤٢٤٢

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

شبيري، يوهانا.
هايدي/تأليف يوهانا شبيري.
تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٧١٩ ٣٤٠ ٥
١–القصص الإنجليزية
أ–العنوان
٨٢٣

رسم الغلاف: إيمان إبراهيم، تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

المحتويات

١- صُعُودُ الْجَبَلِ	٧
٢- مُقَابَلَةُ الْجَدِّ	٩
٣- فِي الْبَيْتِ مَعَ الْجَدِّ	١٣
٤- فِي الْخَارِجِ مَعَ الْمَعْزِ	١٧
٥- زِيَارَةُ الْجَدَّةِ	٢١
٦- زَائِرَانِ	٢٧
٧- عَائِلَةٌ جَدِيدَةٌ	٣١
٨- جَوْلَةٌ فِي الْبَلْدَةِ	٣٥
٩- الْمَالُ وَالْقِطَطُ	٣٩
١٠- جَدَّةٌ أُخْرَى	٤٥
١١- شَبَحٌ فِي الْمَنْزِلِ	٥١
١٢- الْعَوْدَةُ إِلَى الْمَنْزِلِ	٥٥
١٣- فِي الْمَنْزِلِ أَخِيرًا	٥٩
١٤- أَجْرَاسُ يَوْمِ الْأَحَدِ	٦٣
١٥- زِيَارَةٌ أَخِيرًا	٦٧
١٦- بَيْتٌ آخَرُ جَدِيدٌ	٧١
١٧- أَخْبَارٌ مِنْ أَصْدِقَاءَ بَعِيدِينَ	٧٥
١٨- الْحَيَاةُ فِي مَنْزِلِ الْجَدِّ	٧٩
١٩- الْوَدَاعَ حَتَّى نَلْتَقِيَ مُجَدَّدًا	٨٣

الفصل الأول

صُعُودُ الْجَبَلِ

«وَاصِلِي السَّيْرَ يَا هايدي!»

قَرَعَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ أُذُنَي الطِّفْلَةِ ذَاتِ الْخَمْسِ سَنَوَاتٍ الْمُبَالِغَةِ فِي مَلْبَسِهَا، فأَوْمَأَتِ إِلَى خَالَتِهَا وَأَسْرَعَتْ مِنْ سَيْرِهَا. كَانَتِ الْأَثْوَابُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي تَرْتَدِيهَا — أَحَدهَا فَوْقَ الْآخَرِ — وَالشَّالُ الصُّوفِيُّ الثَّقِيلُ الْمُلْتَفُّ حَوْلَهَا قَدْ تَسَبَّبَتْ فِي أَنْ تَسِيرَ سَيْرًا بَطِيئًا فِي ذَلِك الْيَوْمِ الْحَارِّ مِنْ شَهْرِ يُونْيُو.

سَأَلَتْهَا الْخَالَةُ ديتا: «هَلْ أَنْتِ مُتْعَبَةٌ؟»

رَدَّتِ الطِّفْلَةُ: «لَا، لَكِنَّنِي أَشْعُرُ بِالْحَرِّ.»

قَالَتِ الْمَرْأَةُ فِي صَوْتٍ مُبْتَهِجٍ: «سَنَصِلُ إِلَى الْقِمَّةِ عَمَّا قَرِيبٍ. يَجِبُ أَنْ تُوَاصِلِي الْجِدَّ فِي السَّيْرِ لِمَسَافَةٍ أَطْوَلَ قَلِيلًا وَأَنْ تَخْطِي خُطُوَاتٍ وَاسِعَةً قَوِيَّةً. سَنَصِلُ هُنَاكَ فِي غُضُونِ سَاعَةٍ مِنَ الْآنَ.»

بَدَا أَنَّ سَاعَاتٍ مَضَتْ مُنْذُ أَنْ غَادَرَتَا دورفلي وَبَدَأَتَا فِي الصُّعُودِ عَبْرَ مَمَرِّ الْمُشَاةِ. لَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ، لَمْ يَكُنْ مَضَى سِوَى سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ. كَانَ هَذَا الْوَقْتُ كَافِيًا لِلْوُصُولِ بِهِمَا إِلَى قَرْيَةٍ صَغِيرَةٍ مُشَيَّدَةٍ عَلَى أَحَدِ جَوَانِبِ الْجَبَلِ. يَتَوَقَّفُ النَّاسُ عَادَةً فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ لِالْتِمَاسِ الرَّاحَةِ وَزِيَارَةِ أَصْدِقَائِهِمْ وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى الْقِمَّةِ. لَكِنْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لَمْ تَتَوَقَّفِ الْمَرْأَةُ الشَّابَّةُ وَالطِّفْلَةُ لِالْتِمَاسِ الرَّاحَةِ. فَقَدْ كَانَتِ الرِّحْلَةُ الَّتِي تَقُومَانِ بِهَا مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُهُمَا قَطْعُهَا بِزِيَارَاتٍ وُدِّيَّةٍ.

صَاحَتِ امْرَأَةٌ: «إِذَا كُنْتِ ذَاهِبَةً إِلَى أَعْلَى الْجَبَلِ، فَسَأَسِيرُ مَعَكِ يَا ديتا!»

لَوَّحَتْ ديتا وَأَوْمَأَتْ لِلْمَرْأَةِ، وَأَبْطَأَتْ مِنْ تَقَدُّمِهَا قَلِيلًا حَتَّى تَتَمَكَّنَ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ مِنَ اللِّحَاقِ بِهِمَا.

سَأَلَتْهَا الْمَرْأَةُ حِينَمَا رَأَتْ هايدي: «أَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الطِّفْلَةُ الَّتِي تَرَكَتْهَا أُخْتُكِ؟»

أَجَابَتْ ديتا: «نَعَمْ، إِنَّنِي أَصْطَحِبُهَا لِكَيْ تَعِيشَ مَعَ جَدِّهَا.»

– «تَنْوِينَ تَرْكَ هَذِهِ الطِّفْلَةِ مَعَهُ؟ لَا بُدَّ أَنَّكِ جُنِنْتِ! كَيْفَ يُمْكِنُكِ فِعْلُ شَيْءٍ كَهَذَا؟ عَلَى أَيَّةِ حَالٍ، لَنْ يَأْخُذَهَا مِنْكِ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ، وَلَسَوْفَ يَطْرُدُكُمَا فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي تَصِلَانِ فِيهَا إِلَيْهِ!»

أَجَابَتْ ديتا: «لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِك عَلَى الْأَرْجَحِ؛ فَهُوَ جَدُّهَا. وَقَدِ اعْتَنَيْتُ بِهَا مُنْذُ أَنْ مَاتَتْ أُمُّهَا عِنْدَمَا كَانَتِ الطِّفْلَةُ الْمِسْكِينَةُ ابْنَةَ عَامٍ وَاحِدٍ. لَكِنَّنِي الْآنَ تُصَادِفُنِي بَعْضُ الْفُرَصِ الْعَظِيمَةِ. أَخِيرًا سَيَكُونُ لَدَيَّ مَكَانٌ جَمِيلٌ أَعِيشُ وَأَعْمَلُ فِيهِ، إِنَّهُ الْوَقْتُ الَّذِي يَنْبَغِي فِيهِ أَنْ يُؤَدِّيَ جَدُّهَا وَاجِبَهُ.»

سَأَلَتْهَا الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ فِي تَعَجُّبٍ: «أَتَعْنِينَ أَنَّكِ سَتَتْرُكِينَ الطِّفْلَةَ بِبَسَاطَةٍ مَعَ جَدِّهَا وَتَرْحَلِينَ؟ يَصْعُبُ عَلَيَّ أَنْ أُصَدِّقَ أَنَّ بِمَقْدُورِكِ الْقِيَامَ بِشَيْءٍ كَهَذَا.»

سَأَلَتْهَا ديتا: «مَاذَا تَقْصِدِينَ؟ قَدْ أَدَّيْتُ وَاجِبِي مَعَ هايدي! مَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيَّ فِعْلُهُ فِي رَأْيِكِ؟ لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَصْحَبَهَا مَعِي!»

لَمْ تُعْطِهَا الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ إِجَابَةً؛ فَقَدْ ظَهَرَ الْمَنْزِلُ الَّذِي كَانَتْ تَنْوِي زِيَارَتَهُ أَمَامَهُمْ. تَذَكَّرَتْ ديتا ذَلِكَ الْكُوخَ، حَيْثُ تَعِيشُ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ مَعَ وَالِدَتِهَا وَابْنِهَا بيتر. كَانَ الْجَمِيعُ تَقْرِيبًا يَعْرِفُونَ الصَّبِيَّ ذَا الْأَحَدَ عَشَرَ عَامًا؛ فَقَدِ اعْتَادَ أَنْ يَنْزِلَ كُلَّ صَبَاحٍ إِلَى الْوَادِي لِجَلْبِ الْمَعْزِ ثُمَّ اقْتِيَادِهَا إِلَى أَعْلَى الْجَبَلِ وَالِاعْتِنَاءِ بِهَا حَتَّى يَحِينَ وَقْتُ الْعَوْدَةِ إِلَى الْمَنْزِلِ لِقَضَاءِ اللَّيْلِ.

قَالَتْ لَهَا الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ أَثْنَاءَ دُخُولِهَا إِلَى الْمَنْزِلِ لِتَزُورَ الْجَدَّةَ: «حَظًّا طَيِّبًا لَكِ!»

لَوَّحَتْ ديتا بِيَدِهَا وَرَاقَبَتِ السَّيِّدَةَ أَثْنَاءَ تَقَدُّمِهَا نَحْوَ الْكُوخِ الْبُنِّيِّ الصَّغِيرِ. لَمْ تَرْغَبْ فِي الِاعْتِرَافِ بِأَنَّ صَدِيقَتَهَا قَدْ تَكُونُ مُحِقَّةً. وَقَضَتْ دَقِيقَةً لِتَسْوِيَةِ قُبَّعَتِهَا وَتَحَوَّلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْبَحْثِ عَنْ هايدي؛ إِذْ كَانَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى اسْتِئْنَافِ رِحْلَتِهَا.

الفصل الثاني

مُقَابَلَةُ الْجَدِّ

كَانَتْ هايدي مُسْتَمْتِعَةً بِمُرَاقَبَةِ الْمَعْزِ وَالْوَلَدِ الَّذِي يَقُودُهَا. كَافَحَتْ حَتَّى تُجَارِيَهُ بَيْنَمَا يَقْفِزُ هُوَ مِنْ صَخْرَةٍ إِلَى أُخْرَى. كَانتْ طَبَقَاتُ الْمَلَابِسِ الَّتِي تَرْتَدِيهَا تَمْنَعُهَا مِنَ الِاقْتِرَابِ بِمَا يَكْفِي حَتَّى تَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ.

فَجْأَةً جَلَسَتْ هايدي عَلَى الْأَرْضِ. وَبَدَأَتْ فِي خَلْعِ حِذَائِهَا وَجَوَارِبِهَا بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُ لِأَصَابِعِهَا الصَّغِيرَةِ أَنْ تَتَحَرَّكَ. عِنْدَمَا فَرَغَتْ مِنْ ذَلِكَ، خَلَعَتِ الشَّالَ الْأَحْمَرَ الْمَلْفُوفَ حَوْلَهَا وَأَلْقَتْهُ، ثُمَّ خَلَعَتْ مِعْطَفَهَا أَيْضًا. كَانَ يُوجَدُ مِعْطَفٌ آخَرُ لِتَخْلَعَهُ. كَانتْ خَالَتُهَا قَدْ وَضَعَتْ مِعْطَفَ يَوْمِ الْأَحَدِ فَوْقَ مِعْطَفِهَا الْيَوْمِيِّ حَتَّى تُجَنِّبَهَا حَمْلَهُ. بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ، كَانَتْ قَدْ خَلَعَتْ هَذَا أَيْضًا. وَقَفَتْ هايدي. كَانَتِ الْآنَ تَرْتَدِي قَمِيصَهَا التَّحْتِيَّ الَّذِي بَدَأَتْ بِهِ هَذَا الصَّبَاحَ. جَمَعَتْ كُلَّ مَلَابِسِهَا مَعًا فِي كَوْمَةٍ صَغِيرَةٍ مُرَتَّبَةٍ ثُمَّ انْطَلَقَتْ تَقْفِزُ وَتَتَسَلَّقُ خَلْفَ بيتر وَالْمَعْزِ.

لَمْ يَكُنْ بيتر قَدْ لَاحَظَ الْفَتَاةَ. وَعِنْدَمَا رَآهَا تَظْهَرُ أَمَامَهُ فَجْأَةً فِي مَلَابِسِهَا الدَّاخِلِيَّةِ، ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةٌ عَرِيضَةٌ. اسْتَجْوَبَتْهُ هايدي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بَدْءًا مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ الْمَعْزُ إِلَى سُؤَالِهِ عَنْ عَدَدِهَا. كَانَتْ قَدِ اسْتَغْرَقَتْ فِي حَدِيثِهَا حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تَقِفُ فِيهِ ديتا.

– «هايدي، مَاذَا كُنْتِ تَفْعَلِينَ؟ مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتِهِ بِنَفْسِكِ؟! وَأَيْنَ مِعْطَفَاكِ وَالشَّالُ الْأَحْمَرُ؟ وَالْحِذَاءُ الْجَدِيدُ الَّذِي اشْتَرَيْتُهُ وَالْجَوَارِبُ الْجَدِيدَةُ الَّتِي صَنَعْتُهَا مِنْ أَجْلِكِ؟ لَقَدْ ضَاعَ كُلُّ شَيْءٍ! لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ وَاحِدٌ! فِيمَ كُنْتِ تُفَكِّرِينَ يَا هايدي؟ أَيْنَ مَلَابِسُكِ كُلُّهَا؟»

أَشَارَتِ الطِّفْلَةُ بِهُدُوءٍ إِلَى بُقْعَةٍ فِي جَانِبِ الْجَبَلِ لِأَسْفَلَ وَأَجَابَتْ: «هُنَاكَ فِي الْأَسْفَلِ.» نَظَرَتْ ديتا إِلَى حَيْثُ يُشِيرُ إِصْبَعُهَا. لَمْ تَسْتَطِعْ سِوَى تَمْيِيزِ شَيْءٍ مَا مُلْقًى عَلَى الْأَرْضِ. كَانَ فَوْقَ الْكَوْمَةِ شَيْءٌ أَحْمَرُ، اسْتَنْتَجَتْ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الشَّالَ.

قَالَتْ ديتا بِغَضَبٍ: «أَيَّتُهَا الطِّفْلَةُ الْفَاسِدَةُ! مَاذَا دَفَعَكِ لِلْقِيَامِ بِشَيْءٍ كَهَذَا؟ مَا الَّذِي جَعَلَكِ تَخْلَعِينَ مَلَابِسَكِ؟ مَاذَا تَعْنِينَ بِذَلِك؟»

قَالَتِ الطِّفْلَةُ: «لَا أُرِيدُ أَيَّ مَلَابِسَ.»

– «أَيَّتُهَا الطِّفْلَةُ الْأَنَانِيَّةُ! أَلَيْسَ لَدَيْكِ أَيُّ عَقْلٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ؟» كَانَتْ خَالَتُهَا غَاضِبَةً بِشِدَّةٍ. «مَنِ الَّذِي سَيَنْزِلُ كُلَّ هَذِهِ الْمَسَافَةِ لِأَسْفَلَ لِإِحْضَارِهَا؟ سَيَسْتَغْرِقُ السَّيْرُ لِأَسْفَلَ نِصْفَ سَاعَةٍ! اذْهَبْ أَنْتَ يَا بيتر وَأَحْضِرْهَا لِي بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُكَ. انْطَلِقِ الْآنَ!»

أَطَاعَ بيتر الْأَمْرَ مُكْمِلًا الْمَسَافَةَ فِي أَقَلَّ مِنَ الْوَقْتِ الَّذِي ظَنَّتْهُ ديتا مُمْكِنًا. أَعْطَتْهُ عُمْلَةً نَظِيرَ سُرْعَتِهِ. أَشْرَقَ وَجْهُ بيتر بِالسَّعَادَةِ وَهُوَ يَضَعُهَا فِي جَيْبِهِ.

تَبِعَ الصَّبِيُّ ديتا وَهايدي فِي الْجُزْءِ الْأَخِيرِ مِنْ صُعُودِهِمَا. وَبَعْدَ حَوَالَيْ سَاعَةٍ، وَصَلُوا إِلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ. كَانَ كُوخُ الْجَدِّ يَقَعُ عَلَى مُنْحَدَرٍ صَخْرِيٍّ حَيْثُ يُمْكِنُ لِكُلِّ شُعَاعٍ مِنَ الشَّمْسِ أَنْ يَلْمسَهُ. كَمَا كَانَ لَدَيْهِ رُؤْيَةٌ كَامِلَةٌ لِلْوَادِي أَسْفَلَ مِنْهُ. كَانَ مَكَانًا جَمِيلًا.

كَانَ يَجْلِسُ خَارِجَ الْكُوخِ رَجُلٌ عَجُوزٌ يُرَاقِبُ الْأَشْخَاصَ الثَّلَاثَةَ الْقَادِمِينَ نَحْوَهُ. انْتَظَرَ بِصَبْرٍ أَنْ يَتَحَدَّثُوا أَوَّلًا.

قَالَتْ هايدي: «مَسَاءُ الْخَيْرِ يَا جَدِّي.» لَمْ تَكُنِ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ خَجُولَةً فِي كَلِمَاتِهَا.

سَأَلَ جَدُّهَا بِخُشُونَةٍ: «مَا مَعْنَى هَذَا؟» صَافَحَ الطِّفْلَةَ مُصَافَحَةً سَرِيعَةً وَنَظَرَ لَهَا مِنْ تَحْتِ حَاجِبَيْهِ الْكَثِيفَيْنِ.

حَدَّقَتْ هايدي فِي وَجْهِهِ. لَمْ تَسْتَطِعْ رَفْعَ نَظَرِهَا عَنْ وَجْهِهِ! كَانَ الْجَدُّ الَّذِي أَمَامَهَا لَدَيْهِ لِحْيَةٌ طَوِيلَةٌ وَحَاجِبَانِ كَثَّانِ مُتَّصِلَانِ فَوْقَ أَنْفِهِ، وَكَأَنَّهُمَا شُجَيْرَةٌ كَثِيفَةُ الْأَوْرَاقِ.

قَالَتْ ديتا عِنْدَمَا وَصَلَتْ هِيَ وَبيتر أَخِيرًا إِلَى الرَّجُلِ الْعَجُوزِ: «عِمْتَ صَبَاحًا. لَقَدْ أَحْضَرْتُ لَكَ طِفْلَةَ توبياس وَأديلهايد. لَعَلَّكَ لَمْ تَتَعَرَّفْ عَلَيْهَا، فَأَنْتَ لَمْ تَرَهَا مُنْذُ أَنْ كَانَتْ رَضِيعَةً.»

سَأَلَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ: «وَمَا عَلَاقَتُهَا بِي؟ وَأَنْتَ يَا صَبِيُّ، اخْرُجْ مِنْ هُنَا أَنْتَ وَمَعْزُكَ! وَخُذْ مَعْزِي مَعَكَ!»

نَظْرَةٌ وَاحِدَةٌ إِلَى الرَّجُلِ الْعَجُوزِ جَعَلَتْ بيتر يُطِيعُ فِي الْحَالِ. كَانَ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْهِ أَنْ يَفْهَمَ أَنَّ جَدَّ هايدي يُرِيدُهُ أَنْ يَخْتَفِيَ مِنْ أَمَامِهِ.

قَالَتْ ديتا: «الطِّفْلَةُ هُنَا لِتَبْقَى مَعَكَ، لَقَدْ قُمْتُ بِوَاجِبِي بِرِعَايَتِهَا خِلَالَ السَّنَوَاتِ الْأَرْبَعِ الْمَاضِيَةِ. وَالْآنَ جَاءَ دَوْرُكَ.»

قَالَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ: «هَذَا كُلُّ شَيْءٍ؟» نَظَرَ لَهَا وَالشَّرَرُ يَتَطَايَرُ مِنْ عَيْنَيْهِ: «وَعِنْدَمَا تَبْدَأُ الطِّفْلَةُ فِي الْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ بَعْدَ رَحِيلِكِ، كَمَا يَفْعَلُونَ عِنْدَمَا يَفْتَقِدُونَ مَنَازِلَهُمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، فَمَاذَا يُفْتَرَضُ أَنْ أَفْعَلَ مَعَهَا عِنْدَئِذٍ؟!»

زَمْجَرَتْ ديتا: «هَذِهِ مُشْكِلَتُكَ، لَقَدْ تَحَمَّلْتُهَا وَهِيَ رَضِيعَةٌ تَبْكِي عِنْدَمَا مَاتَتْ وَالِدَتُهَا. لَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ صَعْبًا بِمَا يَكْفِي أَنْ أَعْتَنِيَ بِأُمِّي وَبِنَفْسِي! الْآنَ لَدَيَّ الْفُرْصَةُ لِأَنْ أَخْرُجَ وَأَشْعُرَ بِاسْتِقْلَالِيَّتِي. لَا يُمْكِنُنِي تَفْوِيتُ تِلْكَ الْفُرْصَةِ. أَنْتَ أَقْرَبُ أَقَارِبِهَا. أَنْتَ الْمَسْئُولُ عَنْهَا الْآنَ. وَضَعْ فِي اعْتِبَارِكَ أَنَّكَ سَتَتَحَمَّلُ الْمَسْئُولِيَّةَ إِذَا حَدَثَ لِلْفَتَاةِ أَيُّ شَيْءٍ.»

لَمْ يُحِبَّ جَدُّ هايدي الطَّرِيقَةَ الَّتِي تَحَدَّثَتْ بِهَا ديتا مَعَهُ. وَكَانَتْ ديتا تَعْلَمُ أَنَّ تَرْكَ طِفْلَةٍ صَغِيرَةٍ كَهَذِهِ مَعَ هَذَا الرَّجُلِ الْعَجُوزِ شَيْءٌ فَظِيعٌ. وَشَعَرَتْ بِالْخِزْيِ وَالْإِحْرَاجِ وَهُوَ يَطْرُدُهَا مِنْ مَنْزِلِهِ.

فَقَالَتْ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ: «وَدَاعًا لَكَ إِذَنْ، وَلَكِ أَنْتِ أَيْضًا يَا هايدي.» اسْتَدَارَتْ سَرِيعًا ثُمَّ بَدَأَتْ فِي الْجَرْيِ نَحْوَ أَسْفَلِ الْجَبَلِ.

سَمِعَتْ ديتا صَيْحَاتِ الْجِيرَانِ الْوَاقِفِينَ أَمَامَ الْأَبْوَابِ وَالنَّوَافِذِ الْمَفْتُوحَةِ وَهِيَ تَمُرُّ مِنْ أَمَامِهِمْ وَهُمْ يَسْأَلُونَهَا: «أَيْنَ الطِّفْلَةُ؟ أَيْنَ تَرَكْتِ الطِّفْلَةَ؟»

فَتَحَتْ فَمَهَا وَلَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعِ الرَّدَّ. لَقَدْ تَرَكَتْهَا وَحْدَهَا مَعَ رَجُلٍ عَجُوزٍ كَانَ الْجَمِيعُ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَطِيفًا بِمَا يَكْفِي. هَلْ سَتَتَوَقَّفُ صَيْحَاتُهُمْ عَنِ التَّرَدُّدِ فِي أُذُنَيْهَا أَبَدًا؟

الفصل الثالث

فِي الْبَيْتِ مَعَ الْجَدِّ

بِمُجَرَّدِ أَنِ اخْتَفَتْ ديتا، عَادَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ إِلَى مَقْعَدِهِ. حَدَّقَ فِي الْأَرْضِ دُونَ أَنْ يُصْدِرَ أَيَّ صَوْتٍ. كَانَتْ هايدي فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ تَسْتَمْتِعُ بِالنَّظَرِ حَوْلَ مَنْزِلِهَا الْجَدِيدِ. اسْتَكْشَفَتْ حَتَّى وَجَدَتْ حَظِيرَةً مَبْنِيَّةً فِي مُقَابِلِ الْكُوخِ. كَانَ هَذَا هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي تُحْفَظُ فِيهِ الْمَعْزُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ فَارِغًا. اسْتَمَرَّتْ هايدي فِي بَحْثِهَا وَوَصَلَتْ إِلَى أَشْجَارِ الصَّنَوْبَرِ خَلْفَ الْكُوخِ. اسْتَمَعَتْ إِلَى الرِّيَاحِ تُصَفِّرُ عَبْرَ الْفُرُوعِ ثُمَّ اتَّجَهَتْ عَائِدَةً إِلَى جَدِّهَا. وَقَفَتْ هايدي أَمَامَ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ وَلَمْ تَفْعَلْ شَيْئًا سِوَى أَنْ أَخَذَتْ تُحَدِّقُ فِيهِ. رَفَعَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ رَأْسَهُ بِبُطْءٍ.

سَأَلَهَا: «مَاذَا تُرِيدِينَ؟»

قَالَتْ هايدي: «أُرِيدُ أَنْ أَرَى الْمَنْزِلَ مِنَ الدَّاخِلِ.»

قَالَ جَدُّهَا: «هَلُمِّي إِذَنْ!» وَنَهَضَ وَمَشَى بِاتِّجَاهِ الْكُوخِ.

قَالَ لَهَا: «أَحْضِرِي صُرَّةَ مَلَابِسِكِ إِلَى الدَّاخِلِ مَعَكِ.»

وَبِسُرْعَةٍ أَجَابَتْهُ: «لَا أُرِيدُهَا بَعْدَ الْآنَ.»

اسْتَدَارَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا. وَقَدْ جَعَلَتْهُ رُؤْيَةُ عَيْنَيْهَا الدَّاكِنَتَيْنِ وَهُمَا تَبْرُقَانِ مِنَ الْإِثَارَةِ بِمَا سَوْفَ تَرَاهُ؛ يُفَكِّرُ فِي إِجَابَتِهِ.

وَأَخِيرًا سَأَلَهَا: «لِمَاذَا لَا تُرِيدِينَهَا بَعْدَ الْآنَ؟»

– «لِأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَرْكُضَ فِي الْأَرْجَاءِ كَالْمَعْزِ بِأَرْجُلِهَا الرَّفِيعَةِ الْخَفِيفَةِ.»

قَالَ جَدُّهَا: «حَسَنًا، يُمْكِنُكِ فِعْلُ ذَلِك إِذَا أَحْبَبْتِ، وَلَكِنْ أَحْضِرِيهَا إِلَى الدَّاخِلِ عَلَى أَيَّةِ حَالٍ. سَنَضَعُهَا فِي الْخِزَانَةِ.»

فَعَلَتْ هايدي مَا طَلَبَهُ مِنْهَا. فَتَحَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ الْبَابَ وَدَخَلَتْ هايدي وَرَاءَهُ. وَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي غُرْفَةٍ ذَاتِ حَجْمٍ مُنَاسِبٍ، هَيْمَنَتْ عَلَى الطَّابِقِ الْأَوَّلِ مِنَ الْكُوخِ بِأَكْمَلِهِ. وَكَانَ فِرَاشُ الْجَدِّ قَابِعًا فِي رُكْنٍ. وَفِي الرُّكْنِ الْآخَرِ كَانَتْ هُنَاكَ مِدْفَأَةٌ وَغَلَّايَةٌ كَبِيرَةٌ مُعَلَّقَةٌ فَوْقَهَا. فِي الْجَانِبِ الْبَعِيدِ، كَانَ يُوجَدُ بَابٌ كَبِيرٌ فِي الْحَائِطِ. كَانَتْ تِلْكَ هِيَ الْخِزَانَةُ. فَتَحَهَا الْجَدُّ. كَانَ يُوجَدُ بِدَاخِلِهَا مَلَابِسُهُ، وَفَنَاجِينُ، وَأَكْوَابٌ، وَأَطْبَاقٌ، وَلَحْمٌ مُدَخَّنٌ وَجُبْنٌ. رَكَضَتْ هايدي إِلَى الرَّفِّ وَدَفَعَتْ صُرَّةَ مَلَابِسِهَا بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُهَا. دَفَعَتْهَا بَعِيدًا خَلْفَ أَشْيَاءِ جَدِّهَا. أَرَادَتْ أَنْ تَضْمَنَ عَدَمَ الْعُثُورِ عَلَيْهَا. ثُمَّ نَظَرَتْ بِعِنَايَةٍ فِي أَرْجَاءِ الْغُرْفَةِ وَسَأَلَتْ: «أَيْنَ سَأَنَامُ يَا جَدِّي؟»

أَجَابَهَا قَائِلًا: «أَيْنَمَا تُحِبِّينَ.»

كَانَتْ هايدي مُبْتَهِجَةً وَبَدَأَتْ فَوْرًا فِي تَفَقُّدِ كُلِّ رُكْنٍ وَزَاوِيَةٍ. عَلَى الْحَائِطِ بِالْقُرْبِ مِنْ سَرِيرِ جَدِّهَا، رَأَتْ سُلَّمًا قَصِيرًا. تَسَلَّقَتْ إِلَى أَعْلَى وَوَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي مَخْزَنِ تِبْنٍ صَغِيرٍ. كَانَ هُنَاكَ كَوْمَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ التِّبْنِ الْجَدِيدِ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ. كَانَ هُنَاكَ أَيْضًا نَافِذَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ صَغِيرَةٌ فِي الْحَائِطِ.

صَاحَتْ: «سَأَنَامُ هُنَا فِي الْأَعْلَى يَا جَدِّي. الْمَكَانُ جَمِيلٌ هُنَا. اصْعَدْ لِتَرَى كَمْ هُوَ جَمِيلٌ!»

صَاحَ: «أُوه، أَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهُ!»

صَاحَتْ مُجَدَّدًا: «سَأُرَتِّبُ فِرَاشِيَ الْآنَ. سَأَحْتَاجُ إِلَى مُلَاءَةٍ.»

قَالَ جَدُّهَا: «حَسَنًا.» وَذَهَبَ إِلَى الْخِزَانَةِ وَقَضَى بِضْعَ دَقَائِقَ يَبْحَثُ فِيهَا حَتَّى خَرَجَ بِقِطْعَةِ قُمَاشٍ طَوِيلَةٍ خَشِنَةٍ يُمْكِنُ أَنْ تَصْلُحَ مُلَاءَةً.

عَمِلَ الِاثْنَانِ عَلَى تَشْكِيلِ التِّبْنِ عَلَى شَكْلِ فِرَاشٍ لِطِفْلٍ. ثُمَّ فَرَدَا قِطْعَةَ الْقُمَاشِ فَوْقَ التِّبْنِ وَدَسَّاهَا مِنَ الْجَوَانِبِ حَتَّى بَدَتْ مُرَتَّبَةً وَمُرِيحَةً.

قَالَتْ هايدي: «لَمْ يَبْقَ سِوَى الْغِطَاءِ.» وَابْتَسَمَتْ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى مَكَانِهَا الْمُرِيحِ الْجَدِيدِ.

تَرَكَ جَدُّهَا الْمَخْزَنَ وَعَادَ بَعْدَ دَقِيقَةٍ وَمَعَهُ جِوَالٌ ضَخْمٌ وَسَمِيكٌ.

قَالَ: «هَذَا سَيَفِي بِالْغَرَضِ.»

عِنْدَمَا فَرَشَا الْجِوَالَ فَوْقَ الْفِرَاشِ بِعِنَايَةٍ، بَدَا دَافِئًا وَمُرِيحًا حَتَّى إِنَّ هايدي صَاحَتْ فَرَحًا.

– «يَبْدُو الْفِرَاشُ رَائِعًا! أَتَمَنَّى لَوْ كُنَّا بِاللَّيْلِ كَيْ أَدْخُلَ فِيهِ فَوْرًا.»

قَالَ جَدُّهَا: «أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَأْكُلَ شَيْئًا أَوَّلًا، مَا رَأْيُكِ؟»

فِي خِضَمِّ إِثَارَةِ إِعْدَادِ الْفِرَاشِ، نَسِيَتْ هايدي كُلَّ شَيْءٍ آخَرَ. وَلَكِنِ الْآنَ شَعَرَتْ أَنَّهَا جَائِعَةٌ جِدًّا.

عِنْدَمَا انْتَهَى الْغَدَاءُ، ذَهَبَ الْجَدُّ إِلَى الْخَارِجِ لِتَرْتِيبِ حَظِيرَةِ الْمَعْزِ. رَاقَبَتْهُ هايدي وَهُوَ يَكْنُسُهَا وَيَضَعُ قَشًّا جَدِيدًا لِتَنَامَ الْمَعْزُ عَلَيْهِ. لَعِبَتْ فِي حِضْنِ الْجَبَلِ بَيْنَمَا أَدَّى الرَّجُلُ الْعَجُوزُ أَعْمَالَهُ الْيَوْمِيَّةَ.

مَرَّ الْوَقْتُ حَتَّى الْمَسَاءِ بِسَعَادَةٍ. وَكَانَتْ هايدي تَقْفِزُ وَتَرْقُصُ حَوْلَ الْأَشْجَارِ الْعَالِيَةِ حَتَّى سَمِعَتْ صَفِيرًا عَالِيًا. رَاقَبَتْ هِيَ وَجَدُّهَا الْمَعْزَ وَهِيَ تَنْزِلُ وَثْبًا مِنْ قِمَمِ الْجَبَلِ. انْطَلَقَتْ هايدي إِلَى الْأَمَامِ لِتَحِيَّةِ كُلِّ أَصْدِقَائِهَا مِنَ الْمَعْزِ الَّتِي تَعَرَّفَتْ عَلَيْهَا هَذَا الصَّبَاحَ. وَرَكَضَ اثْنَانِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْجَمِيلَةِ النَّحِيلَةِ: وَاحِدٌ أَبْيَضُ وَوَاحِدٌ بُنِّيٌّ، إِلَى حَيْثُ يَقِفُ الْجَدُّ.

ضَحِكَتْ هايدي وَقَفَزَتْ فِي مَرَحٍ قَائِلَةً: «هَلْ هَذَانِ لَنَا يَا جَدِّي؟ هَلْ الِاثْنَانِ مِلْكُنَا؟»

أَجَابَ: «الْبَيْضَاءُ اسْمُهَا الْبَجعَةُ الصَّغِيرَةُ وَالْبُنِّيُّ اسْمُهُ الدُّبُّ الصَّغِيرُ، وَالْآنَ سَاعِدِينِي فِي إِطْعَامِ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ الْجَائِعَةِ.»

سَاعَدَتْ هايدي فِي إِطْعَامِهَا وَإِدْخَالِهَا لِلنَّوْمِ. ثُمَّ أَنْهَتْ عَشَاءَهَا سَرِيعًا. كَانَتْ مُتَشَوِّقَةً لِتَجْرِبَةِ فِرَاشِهَا الْجَدِيدِ. سُرْعَانَ مَا كَانَتْ هايدي تَسْتَغْرِقُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ هَادِئٍ. لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الرِّيَاحِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَهُبُّ فِي الْخَارِجِ فَتَجْعَلُ أَلْوَاحَ الْكُوخِ الْخَشَبِيَّةَ تَئِنُّ وَتَصِرُّ غَضَبًا. وَمَنَعَتْ أَحْلَامُهَا الْأَصْوَاتَ الْمُخِيفَةَ لِانْكِسَارِ فُرُوعِ الْأَشْجَارِ مِنْ الِاقْتِرَابِ مِنْهَا.

فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ اسْتَيْقَظَ الْعَجُوزُ وَهَمَسَ لِنَفْسِهِ: «سَتَخَافُ الطِّفْلَةُ.» ارْتَقَى السُّلَّمَ إِلَى الْمَخْزَنِ وَوَقَفَ بِجَانِبِ فِرَاشِ هايدي.

وَعَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ الْخَافِتِ الْمُتَبَقِّي، اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى وَجْهَ الْفَتَاةِ النَّائِمَةِ. كَانَتْ تَسْتَلْقِي تَحْتَ الْغِطَاءِ السَّمِيكِ مُتَوَرِّدَةَ الْوَجْنَتَيْنِ، وَتُسْنِدُ رَأْسَهَا فِي سُكُونٍ عَلَى ذِرَاعِهَا الصَّغِيرَةِ الْمُمْتَلِئَةِ. فِي الْوَاقِعِ، كَانَتِ ابْتِسَامَةٌ صَغِيرَةٌ تَرْتَسِمُ عَلَى وَجْهِهَا، كَمَا لَوْ كَانَتْ

فِي مُنْتَصَفِ حُلْمٍ جَمِيلٍ. وَقَفَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ يَتَأَمَّلُ الطِّفْلَةَ حَتَّى اخْتَفَى الْقَمَرُ خَلْفَ السَّحَابِ وَلَمْ يَعُدْ يَسْتَطِيعُ رُؤْيَتَهَا.

الفصل الرابع

فِي الْخَارِجِ مَعَ الْمَعْزِ

اسْتَيْقَظَتْ هايدي فِي الْيَوْمِ التَّالِي بِابْتِسَامَةٍ عَلَى وَجْهِهَا. كَانَتْ تَشْعُرُ بِسَعَادَةٍ بَالِغَةٍ فِي بَيْتِهَا الْجَدِيدِ. تَذَكَّرَتْ كُلَّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي رَأَتْهَا فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ وَكَانَتْ مُتَحَمِّسَةً جِدًّا لِرُؤْيَتِهَا الْيَوْمَ مُجَدَّدًا. قَفَزَتْ مِنَ الْفِرَاشِ بِسُرْعَةٍ وَرَكَضَتْ إِلَى الْخَارِجِ بِسَعَادَةٍ لِسَمَاعِهَا صَوْتَ بيتر. بَيْنَمَا اغْتَسَلَتْ هايدي وَهَنْدَمَتْ نَفْسَهَا، جَهَّزَ لَهَا الْجَدُّ وَجْبَةً طَيِّبَةً. وَفِي خِلَالِ دَقَائِقَ كَانَتْ فِي الْخَارِجِ فِي حِضْنِ الْجَبَلِ مَعَ الْمَعْزِ.

قَالَ بيتر لِهايدي بِصَوْتٍ عَالٍ: «تَعَالَيْ هُنَا. لَقَدْ أَعْطَانِي جَدُّكِ أَوَامِرَ بِمُرَاقَبَتِكِ!»

أَطَاعَتْ هايدي مَا قَالَهُ الصَّبِيُّ وَتَبِعَتْهُ حَتَّى أَبْطَأَ السَّيْرَ لِيُرِيحَ الْمَعْزَ. تَفَقَّدَ بيتر قَطِيعَهُ ثُمَّ نَامَ عَلَى الْأَرْضِ الدَّافِئَةِ. وَجَلَسَتْ هايدي بِجَانِبِهِ. فَجْأَةً سَمِعَتْ صَرْخَةً مُدَوِّيَةً تَتَعَالَى مِنْ فَوْقِهَا. رَفَعَتْ هايدي عَيْنَيْهَا وَرَأَتْ طَائِرًا. كَانَ أَكْبَرَ مِنْ أَيِّ طَائِرٍ رَأَتْهُ مِنْ قَبْلُ. كَانَ يَفْرِدُ جَنَاحَيْهِ الْكَبِيرَيْنِ وَيَدُورُ فِي حَلَقَاتٍ وَاسِعَةٍ.

«بيتر، بيتر، اسْتَيْقِظْ! انْظُرْ إِلَى الطَّائِرِ الْكَبِيرِ! انْظُرْ! انْظُرْ!» صَاحَتْ هايدي.

اسْتَيْقَظَ بيتر وَرَاقَبَا الطَّائِرَ مَعًا حَتَّى اخْتَفَى وَرَاءَ قِمَّةٍ مِنْ قِمَمِ الْجَبَلِ.

سَأَلَتْ هايدي: «إِلَى أَيْنَ ذَهَبَ؟»

قَالَ بيتر: «إِلَى عُشِّهِ.»

أَجَابَتْ هايدي بِفَرَحٍ: «هَيَّا نَذْهَبُ لِرُؤْيَتِهِ!»

قَالَ بيتر بِحَزْمٍ: «لَا! حَتَّى الْمَعْزُ لَا يُمْكِنُهَا التَّسَلُّقُ إِلَى هَذَا الِارْتِفَاعِ. ابْقَيْ هُنَا بَيْنَمَا أَذْهَبُ أَنَا لِإِحْضَارِ الْغَدَاءِ.»

قَطَّبَتْ هايدي جَبِينَهَا، وَلَكِنْ لِثَانِيَةٍ فَقطْ. كَانَتِ الْمَعْزُ تَلْعَبُ حَوْلَهَا وَأَرَادَتْ أَنْ تَنْضَمَّ إِلَيْهَا.

قَالَتْ لِبيتر وَهُوَ يَضَعُ الْخُبْزَ وَالْجُبْنَ أَمَامَهَا: «أَخْبِرْنِي بِأَسْمَائِهَا.»

– «ذُو الْقُرُونِ الْكَبِيرَةِ هُوَ تورك. دَائِمًا يُرِيدُ نَطْحَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَعْزِ. لِذَلِك تَجْرِي مُعْظَمُهَا عِنْدَمَا تَرَاهُ قَادِمًا. الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَبْقَى هِيَ جرينفينش. إِنَّهَا الْمَاعِزَةُ الصَّغِيرَةُ هُنَاكَ. إِنَّهَا شُجَاعَةٌ جِدًّا وَسَرِيعَةٌ حَتَّى إِنَّ تورك غَالِبًا لَا يَرَاهَا وَهِيَ قَادِمَةٌ.»

هَبَّ بيتر فَجْأَةً وَاقِفًا عَلَى قَدَمَيْهِ وَرَكَضَ خَلْفَ وَاحِدَةٍ مِنَ الْمَعْزِ. تَبِعَتْهُ هايدي بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُهَا. انْدَفَعَا وَسْطَ الْقَطِيعِ مُتَوَجِّهَيْنِ نَحْوَ جَانِبِ الْجَبَلِ.

فِي الْوَقْتِ الَّذِي وَصَلَ فِيهِ بيتر إِلَى جَانِبِ الْجَبَلِ، كَانَتْ جرينفينش تَقْفِزُ فِي اتِّجَاهِ الْمُنْحَدَرِ الصَّخْرِيِّ. أَلْقَى بيتر بِنَفْسِهِ وَأَمْسَكَ أَحَدَ رِجْلَيْهَا الْخَلْفِيَّتَيْنِ. فُوجِئَتِ الْمَاعِزَةُ وَبَدَأَتْ تَثْغُو بِغَضَبٍ. وَحَاوَلَتْ أَنْ تَتَحَرَّرَ وَتَتَمَلَّصَ مِنْ يَدِهِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً حَتَّى إِنَّ بيتر اضْطُرَّ لِمُنَادَاةِ هايدي لِلْمُسَاعَدَةِ.

رَكَضَتْ هايدي مُتَّجِهَةً لِأَعْلَى عَلَى الْفَوْرِ. رَأَتِ الْخَطَرَ الْمُحْدِقَ بِكُلٍّ مِنْ بيتر وَالْمَاعِزَةِ، فَجَمَعَتْ بِسُرْعَةٍ بَعْضًا مِنْ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ حُلْوِ الرَّائِحَةِ، وَوَضَعَتْهَا أَمَامَ أَنْفِ جرينفينش وَقَالَتْ: «تَعَالَيْ يَا جرينفينش! يَجِبُ أَلَّا تَكُونِي مُشَاغِبَةً! انْظُرِي يُمْكِنُ أَنْ تَسْقُطِي فَتُكْسَرَ سَاقُكِ.»

اسْتَدَارَتِ الْمَاعِزَةُ الصَّغِيرَةُ وَبَدَأَتْ تَأْكُلُ الْأَوْرَاقَ مِنْ يَدِ هايدي. فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ وَقَفَ بيتر وَأَمْسَكَ بِجرينفينش مِنَ الطَّوْقِ حَوْلَ رَقَبَتِهَا. أَمْسَكَتْ هايدي بِالْجَانِبِ الْآخَرِ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ. وَقَادَا مَعًا الشَّاةَ الشَّارِدَةَ عَائِدَيْنِ إِلَى حَيْثُ كَانَ بَقِيَّةُ الْقَطِيعِ يَأْكُلُ بِسَلَامٍ.

الْآنَ وَقَدْ عَادُوا إِلَى الْأَمَانِ، لَمْ يُضَيِّعْ بيتر أَيَّ وَقْتٍ فِي تَوْبِيخِ الْمَاعِزَةِ. فَرَفَعَ عَصَاهُ وَهُوَ يَصِيحُ، عَازِمًا عَلَى إِعْطَائِهَا ضَرْبَةً قَوِيَّةً كَعِقَابٍ لَهَا. فَصَرَخَتْ هايدي: «لَا لَا، يَا بيتر. يَجِبُ أَلَّا تَضْرِبَهَا، انْظُرْ كَمْ هِيَ مَذْعُورَةٌ!»

زَمْجَرَ بيتر: «إِنَّهَا بِحَاجَةٍ لِذَلِك.» وَرَفَعَ عَصَاهُ مُجَدَّدًا. وَضَعَتْ هايدي نَفْسَهَا سَرِيعًا بَيْنَ الصَّبِيِّ وَالْمَاعِزَةِ، قَائِلَةً: «لَيْسَ لَدَيْكَ الْحَقُّ لِلَمْسِهَا. سَتُؤْذِيهَا. اتْرُكْهَا وَشَأْنَهَا!»

نَظَرَ بيتر بِدَهْشَةٍ إِلَى الْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ. فَكَّرَ كَمْ هِيَ طَيِّبَةٌ. أَعْطَتْهُ هايدي مُعْظَمَ غَدَائِهَا الْيَوْمَ، فَقَطْ لِأَنَّهَا اعْتَقَدَتْ أَنَّهُ يَبْدُو جَائِعًا. لَمْ يَقُمْ أَيُّ شَخْصٍ بِشَيْءٍ لَطِيفٍ كَهَذَا مِنْ أَجْلِهِ قَطُّ. وَالْآنَ تُرِيدُ إِعْفَاءَ هَذَا الْحَيَوَانِ غَيْرِ الْمُطِيعِ. أَنْزَلَ بيتر الْعَصَا.

وَقَالَ: «سَأَتْرُكُهَا تَذْهَبُ إِنْ أَعْطَيْتِنِي الْمَزِيدَ مِنْ جُبْنِكِ غَدًا.» كَانَ لَا يَزَالُ عَابِسًا بِسَبَبِ الْفَزَعِ الَّذِي سَبَّبَتْهُ الْمَاعِزَةُ لَهُ.

رَدَّتْ هايدي: «سَتَأْخُذُهُ كُلَّهُ، غَدًا وَكُلَّ يَوْمٍ. لَا أُرِيدُهُ. وَسَأُعْطِيكَ خُبْزًا أَيْضًا، قِطْعَةً كَبِيرَةً كَالَّتِي أَخَذْتَهَا الْيَوْمَ. وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَعِدَنِي بِأَنَّكَ لَنْ تَضْرِبَ جرينفينش أَوْ أَيًّا مِنَ الْمَعْزِ الْأُخْرَى أَبَدًا.»

قَالَ بيتر: «حَسَنٌ، اتَّفَقْنَا.» وَبَدَا أَنَّ الْفَتَى كَانَ يَعْتَزِمُ بِحَقٍّ الِالْتِزَامَ بِكَلِمَتِهِ.

الفصل الخامس

زِيَارَةُ الْجَدَّةِ

يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ كَانَتْ هايدي تَقْضِي وَقْتَهَا مَعَ بيتر. ذَهَبَا عَالِيًا إِلَى الْمُرُوجِ وَبَيْنَ الصُّخُورِ وَالْأَزْهَارِ. وَعِنْدَمَا أَصْبَحَ الْجَوُّ بَارِدًا فِي النِّهَايَةِ، وَطَلَبَ الْجَدُّ مِنْ هايدي أَنْ تَبْقَى بِالْمَنْزِلِ، شَعَرَ بيتر بِنَفْسِ التَّعَاسَةِ الَّتِي شَعَرَتْ بِهَا الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ. فَلَمْ يَفْتَقِدِ الطَّعَامَ الْإِضَافِيَّ أَثْنَاءَ الْغَدَاءِ فَحَسْبُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ لَدَيْهِ دَائِمًا مُشْكِلَاتٌ أَكْثَرُ مَعَ الْمَعْزِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ. فَقَدْ بَدَا أَنَّ الْحَيَوَانَاتِ تَتَصَرَّفُ عَلَى نَحْوٍ أَفْضَلَ فِي وُجُودِ هايدي اللَّطِيفَةِ لِإِرْشَادِهَا.

عِنْدَمَا أَصْبَحَ الْجَوُّ بَارِدًا جِدًّا، لَمْ يَعُدْ بيتر يَأْخُذُ الْمَعْزَ لِلْخَارِجِ. كَانَ ذَلِكَ هُوَ وَقْتُ ذَهَابِهِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ. أَحَبَّتْ هايدي أَنْ تَسْأَلَهُ أَسْئِلَةً عَنْ دِرَاسَتِهِ، وَلَكِنَّ بيتر لَمْ يَكُنْ مُولَعًا بِإِجَابَةِ الْفَتَاةِ. فَقَدْ أَحَبَّ عَمَلَهُ كَرَاعٍ لِلْمَعْزِ أَكْثَرَ بِكَثِيرٍ مِنْ حُبِّهِ لِلْمَدْرَسَةِ. وَذَاتَ مَسَاءٍ، أَعْطَى هايدي رِسَالَةً بَدَلًا مِنَ الْإِجَابَةِ عَلَى أَسْئِلَتِهَا.

قَالَ الصَّبِيُّ: «أَرْسَلَتْ لَكِ جَدَّتِي رِسَالَةً وَقَالَتْ إِنَّهَا تَوَدُّ أَنْ تَأْتِي لِزِيَارَتِهَا.»

كَانَتْ فِكْرَةُ الذَّهَابِ لِزِيَارَةِ أَحَدٍ جَدِيدَةً تَمَامًا عَلَى هايدي. وَعَلَى مَدَارِ الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ التَّالِيَةِ، أَزْعَجَتِ الْجَدَّ كَثِيرًا حَوْلَ الذَّهَابِ حَتَّى إِنَّهُ اسْتَسْلَمَ أَخِيرًا لِرَغْبَتِهَا.

قَامَ الْجَدُّ مِنْ عَلَى الطَّاوِلَةِ. وَصَعِدَ إِلَى مَخْزَنِ التِّبْنِ وَأَنْزَلَ الْجِوَالَ السَّمِيكَ لِيَلُفَّ الْفَتَاةَ الصَّغِيرَةَ بِهِ. ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْحَظِيرَةِ وَخَرَجَ يَسْحَبُ مِزْلَجَةً كَبِيرَةً. بَعْدَ الصُّعُودِ إِلَى كُرْسِيِّ الْمِزْلَجَةِ، وَضَعَ الْفَتَاةَ الصَّغِيرَةَ فِي وَضْعٍ مُرِيحٍ فِي حِجْرِهِ. وَانْطَلَقَا كَطَائِرٍ يُحَلِّقُ بِرَشَاقَةٍ فِي الْهَوَاءِ. وَفِي غُضُونِ دَقَائِقَ كَانَا قَدْ تَوَقَّفَا أَمَامَ كُوخِ بيتر.

– «هَا قَدْ وَصَلْتِ الْآنَ. اذْهَبِي إِلَى الدَّاخِلِ. وَعِنْدَمَا يَبْدَأُ حُلُولُ الظَّلَامِ يَجِبُ أَنْ تَعُودِي إِلَى الْبَيْتِ فِي الْحَالِ.» ثُمَّ تَرَكَهَا وَصَعِدَ الْجَبَلَ، سَاحِبًا الْمِزْلَجَةَ خَلْفَهُ.

فَتَحَتْ هايدي بَابَ الْكُوخِ وَدَخَلَتْ إِلَى الْغُرْفَةِ الصَّغِيرَةِ الْمُظْلِمَةِ. كَانَ فِيهَا مِدْفَأَةٌ وَبَدَتْ كَالْمَطْبَخِ. وَفِي الرُّكْنِ، كَانَتْ تَجْلِسُ سَيِّدَةٌ عَجُوزٌ، مُنْحَنِيَةُ الظَّهْرِ مِنْ تَقَدُّمِ الْعُمْرِ. كَانَتْ تَغْزِلُ الصُّوفَ فَتُحَوِّلُهُ إِلَى خَيْطٍ بِاسْتِخْدَامِ مِغْزَلٍ كَبِيرٍ. سَارَتْ هايدي نَحْوَهَا.

قَالَتْ: «يَوْمٌ سَعِيدٌ يَا جَدَّتِي. لَقَدْ أَتَيْتُ أَخِيرًا. هَلْ ظَنَنْتِ أَنَّنِي لَنْ أَصِلَ إِلَى هُنَا أَبَدًا؟»

رَفَعَتِ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ رَأْسَهَا وَتَحَسَّسَتْ طَرِيقَهَا إِلَى الْيَدِ الَّتِي مَدَّتْهَا الطِّفْلَةُ. «هَلْ أَنْتِ الطِّفْلَةُ الَّتِي تَعِيشُ عَلَى قِمَّةِ الْجَبَلِ؟ هَلْ أَنْتِ هايدي؟»

أَجَابَتْ هايدي: «نَعَمْ، نَعَمْ. لَقَدْ نَزَلْتُ عَلَى الْمِزْلَجَةِ مَعَ جَدِّي.»

سَأَلَتِ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ ابْنَتَهَا الَّتِي كَانَتْ تَخِيطُ شَيْئًا فِي رُكْنِ الْغُرْفَةِ: «هَلْ هَذَا مَعْقُولٌ؟ يَدَاكِ دَافِئَتَانِ جِدًّا! كَيْفَ تَبْدُو يَا بريجيتا؟»

قَالَتِ الْمَرْأَةُ الْأَصْغَرُ سِنًّا: «إِنَّهَا فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ جَمِيلَةٌ، مِثْلَمَا كَانَتْ أُمُّهَا. وَأَعْتَقِدُ أَنَّ جَدَّهَا يَعْتَنِي بِهَا! فَهِيَ تَبْدُو بِحَالٍ طَيِّبَةٍ جِدًّا!»

أَثْنَاءَ هَذَا الْوَقْتِ لَمْ تَكُنْ هايدي وَاقِفَةً فِي مَكَانِهَا. فَقَدْ كَانَتْ تَتَجَوَّلُ فِي الْغُرْفَةِ، وَتَنْظُرُ بِاهْتِمَامٍ إِلَى كُلِّ مَا يُوجَدُ بِهَا. وَفَجْأَةً هَتَفَتْ: «جَدَّتِي، وَاحِدٌ مِنْ مَصَارِيعِ النَّوَافِذِ يَتَحَرَّكُ ذَهَابًا وَإِيَابًا مُحْدِثًا ضَوْضَاءَ. سَيَأْتِي جَدِّي وَيُصْلِحُهُ لَكِ. أَتَرَيْنَ كَيْفَ هُوَ مُسْتَمِرٌّ فِي ضَجِيجِهِ؟»

قَالَتِ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ: «طِفْلَتِي الْعَزِيزَةَ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرَى وَلَكِنَّنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْمَعَ. يُوجَدُ عُيُوبٌ كَثِيرَةٌ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ. فَكَثِيرًا مَا أَسْمَعُ لَهُ صَرِيرٌ وَخَشْخَشَةٌ حَتَّى إِنَّنِي أَرْقُدُ فِي فِرَاشِي لَيْلًا وَأَنَا مُسْتَيْقِظَةٌ أُفَكِّرُ فِي أَنَّ الْمَكَانَ كُلَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَنْهَارَ. ولَا يُوجَدُ مَنْ يُصْلِحُهُ لَنَا. بيتر لَا يَعْرِفُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ.»

سَأَلَتْ هايدي: «لِمَاذَا لَا يُمْكِنُكِ رُؤْيَةُ مِصْرَاعِ النَّافِذَةِ؟»

– «هايدي، عَزِيزَتِي، لَا أَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ أَيِّ شَيْءٍ.»

– «وَلَكِنْ إِذَا أَخَذْتُكِ خَارِجًا فِي الثَّلْجِ، سَيَكُونُ هُنَاكَ ضَوْءٌ أَكْثَر. مُؤَكَّدٌ سَوْفَ تَرَيْنَهُ عِنْدَ ذَلِك.»